يقصد بالتوظيف الأسطوري هو استحضار بعض الشخصيات الأسطورية القديمة أو الأحداث وتوظيفها في النص الشعري لتعميق رؤية معاصرة لموضوع يتبناه الشاعر وهي الصورة الأولى للشعر التي يستفيد منها الشاعر لما لها من طاقات ايحائية وخيال بعيد المدى : والأسطورة ((تعيش على الخط الفاصل بين الخيال الجامح والحقيقة الواقعة))

والشاعر الذي يملك خيالاً خلاقاً يستطيع أن يوظف الأسطورة لا بوصفها قصة خرافية وأنما بوصفها تفسيراً للطبيعة والتاريخ وللروح واسرارها ويكتشف فيها رموزاً للأشياء وأن عودة الشعراء بتوظيف الأساطير ((ليست حلية جمالية تضاف الى العمل الشعري بقدر ماهي عامل اساسي يساعد الأنسان المعاصر على اكتشاف ذاته وتعميق تجربته ، ومنهجها بُعداً شمولياً وضرورة موضوعية تستطيع النهوض – بما تملك من طاقات متجددة – بعبء الهواجس والرؤى والأفكار المعاصرة ، وبهذا الفهم للأسطورة ورموزها ، فأن الأشخاص الأسطوريين سيفقدون داخل النتاج الأدبي شيئاً من هويتهم الذاتية ويتوحدون مع الجنس البشري عموماً))، فالأسطورة تقوم على نقل التجربة كما يقول صلاح عبد الصبور من مستواها الشخصي الذاتي الى مستوى أنساني جوهري.

تمارس الأسطورة في شعرنا العربي المعاصر حضورًا لافتًا مما استدعى الكثير من الدراسات التي نشأت حولها من هذه الدراسات الدكتور أسعد رزوق(الأسطورة في الشعر المعاصر) وهي من البواكر المهمة في هذا المجال على الرغم من بعض السلبيات التي تعتورها. من ذلك مثلا تشديده على أن الشعراء الأسطوريين كانوا شديدي التأثر بالشاعر الاميركي ت.س.اليوت في اسلوبه وتقنيته وبعض الرموز التي استخدمها. ولابد من ذكر الشاعر سعدي يوسف في توظيف الأسطورة القول من أنه استطاع أن يستخدمها استخداماً أمثلاً حينما نبش عروق الرمز الأسطوري

المنتشرة والمتشبعة في لاوعي المتلق ونفضَ الغبار عن هذه العروق وشحن أوردتها بسائل الحاضر الذي يعيشهُ الشاعر ليشكل من خلالها وبها رؤية المستقبل وطريقه وهي رؤية الشاعر ذاته وهي اقرب ما تكون في طريقة توظيفه الى الرؤية الخاصة وخلق اساطيره بنفسه ،

وهو ما يؤكده في قوله ، ((مسألة اهتمامي بالحياة اليومية جعلتني أبحث عن إمكان التوصل الى أسطورة جديدة ، نابعة من غرابة هذا الواقع وحركته ومشتبكاته) ويقول أيضاً ((الأسطورة لم تستخدم في الشعر العربي الجديد بصورة عضوية ، وظلت تشبه جسماً غريباً مزروعاً في جسم القصيدة الجديدة ، وإذا اعتبرنا السياب أكثر الشعراء المحدثين أستخداماً للأسطورة فأنه من النادر أن نجد لديه أسطورة ذاتيه في نسيج القصيدة)).

والحق أقول أن الشاعر سعدي يوسف كان مقّلاً في توظيفه للأسطورة فلم تحتل الأسطورة في شعره حيزاً كبيراً كالذي نجده عند معاصريه أمثال السياب والبياتي ووغيرهم ، ولابد من القول ايضاً أن تلك المساحة الضيقة في استخدامه للأساطير كأنت بؤرة تكثيفية تجاوز الشاعر ما تشير اليه من رموز تفَّسر الكون الى توظفيها في مواقف منسجمة وما يعانيه الشاعر ومجتمعه بما يخدم دلالات نصه الشعري من خلال الربط بين رؤيته الذاتيه وحقيقة الأسطورة . وينزع الشاعر الى الشخصيات الأسطورية التي عمد الى توظيفها ، كالشخصية الأسطورية اليونانية (إيكاروس) في قصيدة (متغايرات) ، النص الشعري أخذ عنوان القصيدة فهو حقاً متغايرات ، قدم من خلالها سعدي يوسف عدداً من المتغايرات ، ، فيقول :

لا فجْرَ في عَدن ...
كأنّ الصُّبحَ سَمْتُ الشَّمسِ
والبحرَ المُحيطَ الفورةُ الأولى بِمُبتَدِأ الخليقةِ،
قُلتُ يوماً : سوفَ أُمْضي الليلَ عندَ البحرِ

رُبّمَا أقتنصتُ الفجرَ
مثل الحوتِ
أو مثلَ الحمامةِ ...
كان سيفُ البحرِ مرتخياً ومُؤتِلقاً
طَولَ الليلِ ،
والأسماكُ ، ناصعةً تَقافَزُ ؛
لم أشأْ أن أُغمضَ العينينِ ،
كنتُ أريد فجراً في يَدَيَّ ...
فُجاءةً ؛
وندىً ؛
ومضيتُ في حُلْمِي ...
.....
.....
.....
تُرى ، هل أَغمضتْ عيناىَ ، لحظةَ طرْتُ ؟
أمْ هل كانَ إيكاروسُ في وهَجِ الحريقِ !

القصيدة عبرت عن رؤيا الشاعر الخاصة فقدم لنا عدداً من الصور التاريخية والصور الواقعية ، منها عن واقع الكون ، (كان الصبح سمت الشمس) ، ومنها صوراً عن بداية الخليقة ، (البحر المحيط الفورة الأولى بمبتدأ الخليقة)

ثم قدم لنا الشخصية الأسطورية (إيكاريوس) ،الذي خالف كلام والده ، الذي حذره من الطيران عاليًا فلم يسمع النصيحة فذاب الشمع وسقطت أجنحته فسقط في البحر ، هكذا ربط الشاعر بين المنظر الذي هو أمامه وبين الأسطورة اليونانية ، فأغمض سعدي يوسف عينيه وطار في مخيلته ، وفتح عينيه فكانت أمامه الشمس التي رسمت صورة إيكاريوس أمامهُ ، أضافة الى البحر الذي هو كذلك أمامهُ ، كما كانت أمام إيكاريوس :

الشمس

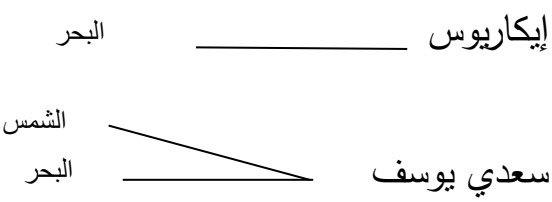

وهو بتوظيفه لهذه الأسطورة ورموزها يسعى الى تثبيت مواقف تنسجم ومتطلبات الواقع وأنفعالات الشاعر .

ونجد توظيفاً أخر لشخصية أسطورية في قصيدة (منزل المسرات) شخصية كَلكَامش ، فيختصر الحكاية كلها بعدد قليل من الأسطر ، يقول :

آه لقد غداً صاحبي الذي أحببت
تراباً ..
وأنا، سأضطجع مثله
فلا اقوم ابد الآبدين .
فيا صاحبة الحانة :
- أنا أنظر الى وجهك –
أيكون في وسعي الاّ أرى الموت
الذي اخشاه
وأرهبه ؟
كَلكَامش

وظف أسطورة كَلكَامش وحزنه على موت صديقه أنكيدو، وسعيه وراء سر الخلود ، وما مر على كَلكَامش من مواقف وأشخاص طول الرحلة ، :

رقد أنكيدو مريضاً أمام جلجامش
وأخذت الدموع تنهمر من عينيه مدرارا
فقال له جلجامش : يا أخي وخلي الغزيز علام يبرؤنني
من دون أخي ؟
(ثم) أردف يقول : هل سيتحتم علي أن أرقب أرواح
الموتى فأجلس عند باب الأرواح ؟
وهل سيكتب على ألا أرى صاحبي العزيز بعيني ؟

القصيدة بصورة عامة عبرت عن فكر خاص عند سعدي يوسف ، فهو جاء بالنص الأول من القصيدة منفصلاً عن القصيدة بصورة عامة فالتوظيف جاء ليعبر عن

الشاعر نفسه فهو ينتقل من مكان الى آخر هرباً من الموت الذي يخشاه كما يخشاه كَلكَامش فهما يكافحان ويبحثان عن الخلود .

والشاعر (لا تعنيه الأسطورة إلا بقدر ما يتخذ من موقفها العام رمزاً لموقف عصري يشبهه نوعاً من المشابهة).

فوظف كلام كَلكَامش لصاحبة الحانة (سيدوري) فيقول لها :

آه لقد صار صاحبي الذي أحببت ترابا
وأنا ، سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين
فيا صاحبة الحانة أيكون في وسعي أن لا أرى الموت
الذي أخشاه وأرهبه ؟

سعدي يوسف يوظف الحوار الذي دار بين كَلكَامش وصاحبة الحانة وهو يحاول أن يهرب من الموت ويسعى الى الخلود ، إلا أن صاحبة الحانة (سيدوري) ، تحاورهُ وتقول أن الموت أمر محتوم ولا مفر منه .

مأساوية الحرب التي عاشها العراقيون في الثمانينات أجبرت الشاعر على الرغم من أبتعاده عن وطنه أن يشارك أبناء وطنه في تلك اللحظات المأساوية التي عاشها العراق وأدت إلى أبداعه قصيدة (الطواف بالمقاهي الثلاثة) بوحي من معاناة شعبه أزاء الواقع السياسي والأجتماعي المرير الذي عاشه مطلع الثمانينات من القرن الماضي ، يقول :

الليل ببغداد يجيء سريعاً

الليل ببغداد يقيم طويلاً

من قرون والليل ببغداد يجيء سريعاً ويقيم طويلاً

لذلك نجده يوظف مواقف وأحداث أسطورية ليجسد تلك الصورة الظلامية فنجد الشاعر يسحب التجربة من حاضنتها الراهنة الى الحاضنة التاريخية لتوحي بالأستمرار والامتداد ، يقول :

فأجابت صاحبة الحانة جلجامش قائلة له :

الى أين تسعى يا جلجامش

أن الحياة التي تبغي لن تجد